قصف مقر (بيت الشعر) الفلسطيني
للمرة الثانية

لم تكن تلك مفاجأة حين غافلت رصاصات الغدر الاحتلالية مقرّ المركز الثقافي الفلسطيني «بيت الشعر» للمرّة الثانية .. كانت الأولى حين نخلّت خمس وعشرون رصاصة سوداء مدخل «البيت»، ولمّا تزل آثارها شاهدة حق على بطش الاحتلال ولا إنسانيته.

ظهر وفي هدأة وادعة، أرسلت مستوطنة (بسغوت)، الجاثمة على صدر جبل الطويل بالبيرة، شقيقة رام الله النازفة، أيضاً، شواظ حقدها على جسد المكان.

النوافذ والأبواب وواجهات «البيت» تلقت قسوة الاحتلال وقناصته.

وفي السياق ذاته، وفي إطار سلسلة الاستهداف والقتل ذاتها، طالت أدوات الاحتلال مقرّ جريدة «الحياة الجديدة» التي تمّ قصفها للمرّة الثانية على التوالي، كما تمّ قصف مقر «الهلال الأحمر الفلسطيني» بالبيرة.

ولم تسلم «مدرسة الكفيفات» سابقاً من فعلة القتلة التي روّعت ذوي الاحتياجات الخاصة، ونفرّت مناماتهم.

وتأتي عملية الاستهداف ضمن خطة حكومة القاتل شارون للنيل من المؤسسة الفلسطينية بكل تفرّعاتها وألوانها، بهدف تواصلية التخريب، وإلحاق الضرر والأذى بالأرض والإنسان.

ويصرّ «بيت الشعر» على أن يستكمل دوره ضمن خلية النحل التي ينتظم بها العاملون لتأدية رسالتهم الثقافية والوطنية وصياغة الخطاب الإبداعي في مواجهة آليات التدمير ومدافع الإجرام وبطش «الأباتشي» لطول البلاد وعرضها.

وما قام به الاحتلال وقنّاصو (بسغوت) إلاّ شاهد صدق على عدوانيتهم، وأن كل ما يقع تحت أعينهم قابل للقتل والتدمير والتشويه. لقد وصلت رسالة الاحتلال أكثر من مرّة حتى باتت لا تثير الاستغراب، فيومياً يجدّدون حقدهم وقتلهم وإجرامهم للمكان وإنسانه، شجره وطيره، أطفاله ونسائه وشيوخه.

إنّ الزجاج المطحون والنوافذ المهشّمة والجدران المبقورة تصرخ في وجه الاحتلال وأدواته إننا باقون، وإن تواصلية الموت وإعادة انتشاره لن تنال من عزيمتنا وسواعدنا، التي تصرّ على أن تكتب حتى يصل صوت الحقيقة، ويعلو على القاتل – الجلاد وعدوانيته.

و«بيت الشعر»، ومعه كل المؤسسات الثقافية والإعلامية والإبداعية وكل المثقفين الفلسطينيين، يهدرون بصوت واحد: فلسطين قلب العروبة النابض، والدم الفلسطيني يشتعل على كافة المحاور والمثقفون الفلسطينيون في خندق المواجهة الأولى، وتلك الوقفة التي سبق أن كانت في غير مكان.

إننا في «بيت الشعر»، نرفع الصوت عالياً ليصل إلى الأصوات المبحوحة والأعين المطفأة التي تصرّ أن لا ترى ولا تسمع ما يجري على هذه الأرض، كما ندعو كافة الهيئات والمؤسسات والمراكز الثقافية في عمقنا العربي والعالم إلى التحرّك، وتفعيل أدوارها ضد همجية الاحتلال واستهدافه المؤسسات الثقافية والمثقفين.

كلّ صباح سنأتي إلى «بيت الشعر»، ونقول لتلك المستوطنة الحاقدة: نحن دائماً هنا، بالضبط هنا، نغني للفرح ونكتب للحياة، لأننا «نحبها ما استطعنا إليها سبيلاً»، بكل ما على هذه الأرض من إرث ثقافي وحضارات وبعد حيّ نستمر في الإبداع والتواصل.

(م.س)

الشعراء في (بيت قصيدتهم)

في أول لقاء يجمع بيوت الشعر العربية في عمّان، يتفصّد الهمّ الشعري في اجتماع عربي ثري، يؤشّر على عافية الشعر العربي بعيداً عن تنظيرات الصحافة، انطلاقاً من عدد من النصوص التي قُرِئَتْ، لتطرح سؤالها الشعري المهم ابتداءً من عمود الشعر وانتهاءً بنثره .

يُتوّج هذا الحدث بكلمة «بيوت الشعر» العربية التي كلّف بها الشاعر الفلسطيني المتوكل طه، القادم من جرّة الدم، يحمل في هواجسه الأهل هناك، حيث أزيز الرصاص ونهر الدم الذي مسح ببياضه هزائم الأمة العربية، وما زال يسطِّر أجمل قصائد الدم والشهادة لشهود غابوا عنه، أنصفتهم الصور أكثر منا، وبتنا عاجزين إلا من فعل الكتابة، وتأبين الأبيض المضرج بالدم والحناء والانكسار العنيف .

لقد كان اللقاء، لقاء الأحبة، على قدر من الدمع واستنهاض الشعر والثقافة لتأخذ دورها الحقيقي، إنها رسالة الجرح للجرح، وخطاب الدم للتراب،حيث عكس البيان (أو الكلمة الافتتاحية) مدى قشعريرة الأهل من برد عروبتهم وعربهم .

وفيما يلي نص الكلمة التي ألقاها رئيس المركز الثقافي الفلسطيني (بيت الشعر) باسم «بيوت الشعر العربية» في افتتاح مهرجان الشعر العربي بعنوان: «حزنٌ أبيض في مرآة الأندلس»:

«اصعدوا إلى جبال عمان لتروا سماوات القدس، وآثار أمة اندحرت وباد أهلها واستلب مثقفوها، لأنّ القبة الذهبية بقيت وحدها، بل بقي طفل يحمل على كتفيه أمته ويحاول أن يمضي بها وحده، رغم قشعريرة الموت للغد الثقيل .

اصعدوا لتروا مزق الزيتون والتاريخ التي كانت تضوّع الأرض! تلك ما تبقّى من فلسطين أو يكاد، رغم الإهمال والانكسار العنيف . هناك بل هنا فلسطين، مرآة الأندلس، والشغف العملاق الذي ما زال يتبختر ويصحو فيها، وهنا الأعناق المعجونة بالسوسن والمذبوحة والمغطاة بالرصاص والجدران المهدومة .. وهنا كان الشهيد الذي رغب في أن تحرقه العاصفة ..

فلسطين! من يراك يتذكرك .. يا مدن المسك والأحزان، لا عليك، ونحن نجترّ الكلام أن نعترف لك بصغيرك الذي يتبع ضفيرة الأحلام لتزهر وتصبح كل الحليب والجنون .. ويمضي وهو يتحسّس فراشه قبلتها على جبينه المدمّى بالشظايا العمياء، لكنه يقوم ليشهد ولادة طفل عربي يشبهه، وستبدو لنا مسألة مشعة ومختلفة وأنيقة إلى درجة يصبح فيها قيام الطفل الجديد بسالة مرحة، تجيب ربما عن سؤال الشاعر الشهيد: أين قمري؟

اصعدوا ليراكم شعب فلسطين ليقول لكم أهلاً بعيونكم في ساحة الإعدام والشرف، أهلاً بكم جميعاً في حضرة السيد الشهيد الذي لم يوار بعد، وأمام الدم الذي لن يتخثر حتى تتم ببيعته كاملة للأرض، وبين يدي عوج بن عناق الذي نفث روحه في شعبكم الفلسطيني فكان من الجبارين، اصعدوا لتروا روح الناس الذين يجللون الكون بعيونهم الساخنة، وصرخات تكبيرهم المشروخة من رفح إلى أم الفحم التي تعجن حنّاءها تحت شبابيك الجزارين، انظروا واكتبوا وأنتم تشهدون المجزرة الألف، وشلالات الضلوع السخية، وفجيعة الأب الذي قتلوا ابنه في مغارة صدره، عسى أن يستيقظ العرب والمسلمون، أو يتنبه العالم المنافق، ويرى معكم كيف أخذ الوحش المدجج حياة الطفل، واستل براءته بأنياب الثلج السوداء .

إنّ التاريخ العربي المعاصر يتزيّا باللون الفلسطيني، مثلما نعتقد نحن في فلسطين، أننا لن نحقق كامل تطلعاتنا دون مشاركة عمقنا العربي . وربما كان ممكناً عقد مصالحة تاريخية مع الدولة العبرية لو تخلت عن جوهرها العنصري، ودورها الوظيفي، لأن إسرائيل ليست مجرد «مشروع إسكان» قام من أجل حلّ «مشكلة الإقامة» التي يعاني منها أبناء «الغيتووات» التائهون في المعمورة، فثمة وظائف عديدة ألحقت بهذا الغزو، منها حماية مصالح الغرب، وتواصل نهب الثروات، وتحطيم أي برنامج وحدوي قد ينشأ في العالم العربي .

ولعل انتخاب «شارون»، النموذج الفاشي لقيادة الدولة العبرية، يشكل نهاية مؤلمة لبعض الأوهام التي ظهرت هنا وهناك حول تحوّلٍ ما في هوية إسرائيل، لهذا لا بدّ من تأبيد الصراع مع الاحتلال الاسرائيلي ما دام على حاله هذه .

مع الانفجار العبقري للانتفاضة المتواصلة، أكمل «بيت الشعر» في فلسطين زينته، وأعلن ترحابه بالشعراء والمبدعين الذين أثبتوا بحضورهم الشجاع إلى فلسطين أنهم يقولون ما يفعلون، وأنهم من الذين آمنوا فاخترقوا الحصار وسياسات العزل والعدمية الاستراتيجية، وشقوا ظلمة السياج ليشهروا أعراس المحمولين على الرايات .. فكان وجودهم هنا بمثابة «فتح مكة» لانهيار اللُبس واللغط بين أن

نتقدم الصفوف لممارسة الوعي مباشرة وجهاً لوجه مع الاحتلال، وبين التطبيع وقبول رواية الآخر النقيض المرفوضة جملة وتفصيلاً.

يبدو أن الحزن أبيض، حيث يجتمع هذا الغمر النوعي من شعراء أمتنا في عمان الشقيقة، بدعوة مشكورة من «بيت الشعر» في الأردن العزيز، راجين أن تتعدى مهرجانات الشعر العربية نمطها المكرور إلى اجتراح تفاعل أعمق، يتصل بقضايا العرب الضائعين بين ثرواتهم الضائعة، والمستلبين في بقاعهم المستلبة، والمذبوحين بمقاصل المكرسين للآخر وحيد القرن القاتل المريب.

وإننا ونحن نشكر أشقاءنا شعراء هذا البلد الشهم على إتاحة هذه الفرصة المواتية لاجتماع أربعة «بيوت شعر» عربية، فإننا نتمنى أن نتمكن من تجاوز المناطقية الجغرافية، وتشظّي المؤسسات، وترداد المألوف، إلى الإعلان عن صيغة تكاملية تواصلية بين «بيوت الشعر» العربية، على طريق خلق كيفيات تعظّم من تأثير الشعراء في محيطهم، وتنظمهم في خيط ذهبي متين، يمكّنهم من خلع العذار أو القناع ويعيدون مهابة الجمرة فيهم، وتخطي التبرير أو الاكتئاب أو الرهبنة الجبانة، لأنهم يعلمون، قبل غيرهم، أنه لم يتبق إلا جدار الثقافة لتستند إليه روح الأمة، وأن دور المثقف الاستراتيجي أبعد وأعمق من دور آني محكوم بموازين القوى والممكن أو غير الممكن.

إن المثقفين والشعراء والمبدعين هم حراس الحلم والحق الكامل الذي لا يموت، والأغنية الصعبة التي تؤصل مدارك أجيالنا الطالعة.

فلينافحوا عن دورهم وليستعيدوا ظلالهم وأراضيهم المحتلة منهم، وليخرجوا من هوامش الترضية أو السلامة المذلة، وإلا فسأنعف من المحيط إلى الخليج سؤال امرأة شلخوا عقد دارها وخنقوا رضيعها بغاز العار والدموع: أين العرب؟ وبدوري أقول: أين مثقفو العرب، وشعراء العرب على وجه الخصوص؟

إنّ التكاذب السياسي الذي يهرول في هذه المنطقة لن يعدو كونه غثاء ممضاً، وإن موقع القدم المنهوب هو إمّا لنا وإمّا لنا، هكذا كان وهكذا سيبقى، رغم الاحتلال والإحلال والتهويد والنسف والعزل والتقتيل والترويع والقصف والجوع واللوعة وتراجيديا الدم العاصف وصلف إسبارطة وطوطم الرعب النووي واختلال الموازين الذابح .

وإن تراكم الرداءة المرحلية القاسية يدفعنا، على ما يبدو، إلى الاحتماء بأفياء القصيدة، والقصيدة اليوم ليست ككل قصيدة، إنها ليست دفاعاً عن الحق فقط، إنها انتزاع للحق، أيضاً، أما بالنسبة للانتفاضة الباسلة ولكل قضايا أمتنا، فإنّ الشعر يبدو ضرورة استثنائية، فإن أوّلَ الآخرون المكان بما يلائم الوهم

أو الاختلاق، فهو بالنسبة إلينا رواية متعددة ذات إطار واحد، تتجه ضمن هذا النسق الإنساني إلى غاية نبيلة واحدة .

إنّ حضوركم سيمنحنا فرصة لاشتباك المصطلح، وتصحيح الرؤى وضبط البوصلة، وللقول، أيضاً، بملء الفيه: إن قصيدتنا بخير رغم كل شيء! لأنّ ما تبنيه القصيدة لا يمكن أن تهدمه الأجهزة والطائرات، وإنّ ما يزرعه الشعر لا يقتله الظمأ أو القيد، وإن من لا دم فيه سينزف كثيراً .. كثيراً ..

أكرّر دعوتي: لتصعدوا إلى ذُرى عمّان، لتروا قباب القدس ولمعة أضوائها في الليل .. فلربما وضع أحدكم فمه على فم الأيل الذي يُخرج أنفاسه الأخيرة على مصاطب الأقصى أو القيامة، فيكتسب كل صفات الأيل الكنعاني من الرشاقة إلى حور العيون، وربما تعُبّ قصيدة ما أنفاس شهداء الحرم فتأخذ وسامتهم وبسالتهم وتطالعنا بطلّة مكتملة .

وإننا لنأمل، وفي وقت أقرب من الوريد، أن نجتمع اجتماعنا الطيب هذا في قدس الأقداس، أميرة المدائن وزهرتها، القدس الشريف، ليستمع الشهداء إلى قصيدتهم العالية التي ما فتئوا يرفعون رمزها المعيش حتى الساعة» .

ثلاثة أعمدة حاولوا ترميم الذات الشعرية

إنّ فكرة البيت تعني الاطمئنان والإيواء، فكيف ببيوت الشعر التي حضرت إلى عمانَ ممثلة بـ«بيت الشعر» الفلسطيني و«بيت الشعر» الأردني و«بيت الشعر» التونسي، حيث يشرف عليها ثلاثة شعراء هم: المتوكل طه وحبيب الزيودي والمنصف المزغني .

إنها محاولة مؤكدة لفعل شيء يندرج تحت باب تفعيل اللقاء والحوار والتثاقف بين أبناء الأمة .

والسؤال هنا: هل مهمة «بيت الشعر» هي تنظيم الأمسيات؟

إنني أطمح أن يكون على خلاف ذلك، ليكون «بيت الشعر» المكان الحي الذي تناقش فيه كل أشكال القصيدة إلى جانب التوثيق واصدار المنشورات مثلما يحدث في «بيت الشعر» الفلسطيني الذي وجه رحلة القصيدة، بمجلّته «الشعراء»، وأخرى للكتابة الجديدة «أقواس»، إلى جانب نشر الدواوين الشعرية الفلسطينية والعربية على السواء، ومواقع الانترنت، في محاولة منه لبيان حضارة أهل فلسطين وقوتهم وإصرارهم على ممارسة فعل الحياة تجاه عدد يؤثث بهجته من دماء الأهل هناك .

إنّ الحوار المطروح الآن هو حوار تقني في الثقافة والحياة، فعلى «بيوت الشعر» أن تحذو حذو بيتهم

الشعري في فلسطين، لكن لا بُدّ من الإشارة إلى أهمية هذه الخطوة التي جمعت شعراء من فلسطين ومصر والأردن وعُمان والعراق ولبنان لينشدوا جرحهم العميق أمام رواسي عمّان السبعة، مضمخة همومنا بسؤال الجدوى، سؤال القلق من الآتي .

المهرجان الشعري

استطاع المهرجان الشعري أن يقول كلمته عبر قصائد الشعراء، فما زال الشعر ديوان العرب، وما زال ثمة من يقول شعراً خالصاً عبر عشقه الشديد للانتماء للغة واحترام الذات في خضم السيل الهائج من مُدّعي الشعر .

ونرى إلى ذلك في الحوار المفتوح الذي كان ضيفه الشاعر ممدوح عدوان، حين يتحدث عن زمن تغير المفاهيم والتي أثرت على تغير الثقافة والمثقفين .

طبيعة الأمسيات

تنوعت أمسيات الأيام الشعرية لتشمل معظم الأجيال، فظهر المخضرمون بنصوصهم الشعرية الناضجة، وفي مقدمتهم الشاعر اللبناني محمد علي شمس الدين، والبحريني قاسم حداد، والتونسي المنصف المزغني، إلى جانب قصائد أخرى نالت إعجاب الجمهور عبر ما تطرحه من قوة وحساسية شعرية جديدة تحكمها المسألة التجريبية في الأشغال الشعرية، إلى جانب ظهور الشعر الملحمي كأشعار المتوكل طه تحديداً في محاكاته لـِ«جدارية درويش»، والتركيز على فعل الموت – فعل الحياة .

في النهاية نقول: لا بدّ من إدامة مثل هذه اللقاءات من باب تفعيل السؤال الشعري العربي، والرقي به عبر النص، لا خارجه .

محمد العامري– عمان